لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الثاني عشر : تفسير الآَيات ٣٦ – ٤٩ من سورة هود

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الثاني عشر من سلسلة اللقاءات الرمضانية المباركة لعام ١٤٣٤. أسأل الله أن يجعله لقاءًا مباركًا وأن يتقبَّلنا، وهو سبحانه وتعالى يتقبَّل من المتَّقين.

وقد كان هذا المقصود -وهو التقوى- التي هي سببٌ للقبول مقصودٌ للصيام، ومقصودٌ للعبادات على وجه العموم، فاللَّهم اجعلنا من المتَّقين الذين تقبلهم وتنفعهم بتقواهم يوم الدين، اللَّهم آمين.

لقاؤنا اليوم إن شاء الله سيكون في آيات مباركات في سورة هود، فيها قصَّة عظيمة من قصص الأنبياء الذين نؤمن أنَّنا سنجتمع معهم شهودًا على أُممِهم أنَّ هؤلاء الأنبياء بلَّغوا الرسالة.

سيكون لقاؤنا مع آيات **تصف حال نوح عليه السَّلام**، وهو أول الأنبياء والرسل الذين حاربوا الشرك، وقد كان الناس من آدم إلى قوم نوح على التوحيد، إلى أن ظهر في قوم نوح الحال المعروفة من دخول الشِّرك على الناس بتعظيم الأولياء، فلا زال الأولياء من الزمن الأوَّل إذا لم يُتعامل معهم كما أمرت الشريعة، لا زالوا هم فتنة الناس، إذا لم يَسِر الناس على مايُرضي الله في التعامل مع هؤلاء الأولياء، فدخل الشِّرك إلى قوم نوح من جهة تعظيم الأولياء تعظيمًا لا يقبله الشرع.

وقع الشِّرك، أرسل الله نوحًا إلى قومه يخبرهم وهم يجادلونه، فيقول الله عزّ وجلّ في أول ذكر القصة:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ إذن يأمرهم بالتوحيد، وينذرهم باللِّقاء، وَحِّد الله واعلم أنَّك ستلقى الله.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ بأي عذر اعتذروا في ردِّ الرسالة؟ ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾

إذن هذه أعذارهم:

الوجه الأول: أنَّهم يقولون أنَّك مثلنا بشر، فعلى أي شيء نتبعك؟ طعنهم في نبوَّته يقولون: نحن وأنت مشتركين في البشرية فأيّ ميزة لك.

الوجه الثاني: انظر إلى أتباعك ما نراهم إلا هم أراذلنا، يعني لا يتَّبعك أهل الملأ أو الملأ الأشراف. ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ ؛ لم يتَّبعك أحد من الأشراف، فليس لك ميزة علينا، هؤلاء الأراذل يتَّبعونك لا قيمة لك ولا لهم، واتباعهم لك كان أصلاً ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْيِ ﴾ يعني من غير تعمق ولا تفكير.

الوجه الثالث: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ لا بالمال ولا بالشَّرف ولا بالجاه.

يعني أنت مثلنا بشر، وأتباعك أراذلنا، وأنتم معاً -أنت وأتباعك- ما نرى لكم علينا من فضل، لا أنت ولا أتباعك.

انتهوا من هذه الثلاثة انتقلوا إلى **ظنونهم الرابعة** ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فيما تدَّعونه.

ردَّ عليهم نوح عليه السلام ردًا إجماليًا فقال لهم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ بمعنى أنَّكم لم تتفكَّروا بقلوبكم فكأنَّكم في حال عمى، خُفيَت عليكم، فهي ليست خفيَّة وإنما أنتم عَميتم عنها، ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أي لا يمكنني أن أضطركم للمعرفة بها ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ ، فالحق بيِّن واضح، لكن الناس أمامه في حال عمى، ولذلك لو عُدْنا في سورة هود للآية السابقة مباشرة من بداية قصة نوح، نظرنا آية ٢٤ في سورة هود سنسمع قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ -هذا الفريق الأول- وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ إذن هناك عمى وصمم في قوم، وهناك قوم بصيرين. فآية ٢٤ سيتبين لنا مباشرة أنَّ الله عزَّ وجلَّ مثَّل للفريقين، ضرب مَثَل هل في عقلكم يستوي من كان أعمى بمن هو بصير ومن كان أصماً بمن هو سميع؟ الجواب لا.

لذلك ترى حال هؤلاء، عُمِّيَت عليهم الأنباء، فلا يمكن أن يُلزموهم بشيء، فيقول لهم نوح عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ يعني أنَّه صرَّح أنَّه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالًا حتى لا يكون بذلك محلا للتهمة.

﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ **وهذا الذي يجب أن يكون مَسْلَك الدُّعاة إلى الله**؛ ألَّا يكونوا طالبين للدنيا، ويكونوا في محل بعيد عن التهمة، يبذلوا جهودهم ألا تكون أطماعهم حول أموال الناس، لا يشعر الناس من أهل الدعوة أنَّهم فقط يريدون أموالًا يستفيدوا منها.

ولابد أن نعرف يقينًا أنَّ الدعوة تقوم على الصدق، فإذا صَدَقت، سيرزق الله عزّ وجلّ أهل الدعوة الأموال التي تعينهم على قيام أعمالهم ومشاريعهم، فالدعوة تحتاج إلى مال، لكن أنت تصِل إلى المال الذي تحتاجه الدعوة من باب الله وليس من باب الناس، فاسأل الله والله يرزقك.

والمقصد أنَّ الداعي لا يسأل الناس أموالهم، لأنَّ سؤال الناس أموالهم أدعى لتهمة من يدعو إلى الله، ويكون في ذلك مجال لكل أحد أن يدَّعي أنَّ هؤلاء يطلبون الدنيا.

إذن هذا الأمر الأول المهم الذي يُشكِل علينا، فإنَّنا نقرأ في سورة الحديد ما يدلّ على أنَّ القرض الحَسَن وعلى أن الإنفاق سببٌ من الأسباب العظيمة التي جعلها الله لإقامة الدِّين، وهنا نسمع أن نوح عليه السلام يقول: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ والمعنى واضح: المال مال الله، وأنت تأمر النَّاس أن يستعينوا بمالهم من أجل أن يصلوا إلى الله، وينفقوا مالهم في دروب الخير، وليس شرطًا أن يكون درب الخير هو أنت، فكل درب للخير دلَّ عليه ولك من الله أجر أن تدلّ عليه، والله ناصر دينه بنا وبغيرنا، والله ناصر دينه بمال المنفق وبغير ماله.

الأمر الثاني قال لهم: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ فالأمر الثاني ردًا على كلامهم لما قالوا له: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ لمح لهم هنا بيَّن لهم أنه لا يمكن أن يطردهم؛ وعلَّل ذلك بأن هؤلاء ملاقوا ربهم، والمعنى أنَّهم سيلقَون ربَّهم فهو يجازيهم على إيمانهم، لأنَّهم طلبوا بإيمانهم ما عند الله، وهذا كأنَّه فيه إعظام لهم إعظامًا لشأنهم، وخوفًا من مخاصمتهم.

مَن اعتبروهم أراذل يُخاصمون النبي عند ربِّهم بسبب طرده لهم، في آخر هذه الآية بيَّن لهم أنَّ طلباتهم هذه إنمَّا هي لأنَّهم جاهلون ﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾.

استرذال الناس والسؤال أن يطردهم هذا ما يأتي إلا من الجهل، فلذلك أن تدعو الناس وتعلم أنَّ الذين يَتَّبعون الدعوة هم من انشرح صدرهم للإيمان، وليس لك علاقة بأحوالهم، فلا تكن ذا حرص على الوجهاء، إنما ذا حرص أن يصل العِلم لكل أحد، والله عزّ وجلّ يشرح صدور الخلق.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾

لأنَّهم قالوا له: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ ﴾ ، فردّ عليهم فقال: ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إنَّما مثل ما أخبرهم من بداية الأمر أنه نذير مبين.

﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ﴾ إذن مرة أخرى الكلام حول مَن يحتقرونهم والذين جعلوهم بينهم وبين الإيمان، يقول لهم: لن أقول لكم أن هؤلاء لن يؤتيهم الله خيرًا، أي لن يوفِّقهم أو يهديهم، بل قد آتاهم الله خيرًا بالإيمان، الله أعلم بما في أنفسهم من الإيمان والإخلاص فهو سيجازيهم على ذلك ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

الآن المفروض يجيبوه على فهمهم الذي فهموه، يناقشوه فيما سمعوه، لكنهم هم انتقلوا لما عجزوا عن القيام بالحجة وانقطعت المناظرة قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي ائتنا من العذاب الذي تخوِّفنا به إن كنت من الصادقين، وهذه دائمًا حال الناس الذين بغضوا الدين، يقولون: أنتم كل يوم تقولون سيقع العذاب على الكافرين، ستقع العقوبة على الظالمين وسيمحق الله أموال المرابين ولا نرى ما تقولون. هاتوا العذاب الذي تقولون إن كنتم صادقين.

الجواب: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾ إذا قضت حكمة الله تعجيله عجَّله لكم، وإذا قضت حكمة الله تأخيره أخَّره.

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ أنتم لن تفوتوا الله لا هنا ولا هناك، لكن لما تُعرِضوا عن طريق الله لن ينفعكم نصحي ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ ﴾ نصحي لن ينفعكم إذا أنتم أخذتم طريق الغواية، فضللتم الطريق وزُغتم؛ وما دام أنَّكم زغتم عن الطريق كان جزاؤكم أن يزيغ الله قلوبكم ويخذلكم عن طريق الحق، ﴿ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ فيجازيكم.

وهم يفترون عليه ويقولون أنَّه افتراه وأنَّه يكذب، فقال لهم: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴾ إن افتريته فعليَّ إجرامي، أنا اكتسب الذنب وأنا بريء مما تُجرمون، وهذه دائمًا مواقف البراءة واضحة في سلوك الأنبياء بعد الدعوة وتكرارها.

نبدأ بمقصودنا وهو الجزء الذي في قصة نوح كان فيه بيان النَّجاة، وكيف تكون، وكيف موقف الناس من طريق النجاة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ
يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾
وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ
كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ
ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب

مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ
وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ
يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ
ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ
أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ
سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ
وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٣٦ - ٤٩

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

إذن هذه أوامر من الله عزَّ وجلَّ، أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى نوح هذه الأوامر.

نقرأ كلام الشيخ السعدي في هاتين الآيتين قال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ **أي**: **قد قسوا**،أي بلغوا حال رفضوا فيه الدعوة وهذا من عِلمِه سبحانه وتعالى بأحوالهم، وأنَّهم زاغوا زيغًا أصرُّوا فيه على كفرهم، وأنَّهم مُصمِّمين على ذلك .

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ **أي: فلا تحزن، ولا تبال بهم، وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحقَّ عليهم عذابه الذي لا يُرَد.** وما مقتهم الله إلا بعد أن مقتوا أنفسهم هُم فردُّوا نفسهم عن الصراط المستقيم.

قال الله له: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ **أي: بحفظنا، ومرأى منَّا، وعلى مرضاتنا،** ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ **أي: لا تراجعني في إهلاكهم،** ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ **أي: قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر.**

فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾ **ورأوا ما يصنع** –ماذا يفعلون؟- ﴿ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ - قال نوح- ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا ﴾ **الآن** ﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ **نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك، حين حلَّ بهم العقاب.**

- إذن هذه مرحلة من المراحل التي مرَّ بها الأنبياء، ويمرّ بها الدُّعاة إلى الله الصادقين في الدعوة على منهج الأنبياء، إذا خاطبتهم بالحقائق وبيَّنتها لهم، فإنَّهم يستهزؤون ويرَوْنَ أنَّ ما تقوله لا يمكن أن يكون، ويجدوك تُتابِع السُّنَّة وتفعل ما أُمِرت به فبِك يستهزؤون ويسخرون. ونحن في قلوبنا نعتقد أن **السُّخرية** هذه إنما أتت من **الجهل**، فإذا كنتم تُظهِرون جهلكم الآن بهذه السُّخرية فإنَّ الزمن القادم سيُبيِّن لكم أنَّ ما سخرتم منه هو **الحق** في وقتٍ لا ينفع فيه الندم، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ سوف تعلمون يقينًا. فعلى هذا نفهم أنَّ هناك أحوالًا كثيرة يمرُّ بها المستقيمين على السُّنَّة الثابتين عليها مُنتظرين عطاء الله وفرجه، فيجدون من يلومهم ويَسْخَر بهم ويُسمِّيهم أسماءً سيئة ويدَّعي عليهم ادِّعاءاتًا باطلة، ويُكثِر عليهم في الاستهزاء والسُّخرية بكل الوسائل التي يستطيعها، وهذا أمر مَرَّ على الأنبياء فلا تبتئس ولا يكُن في قلبك شك، واعلم أن الله عزّ وجلّ ناصر دينه **فاستقيم** ولا تتبع سبيل القوم الذين لا يعلمون.
- لا يستفزَّك الاستهزاء
- تابِع

- اصمت وقتما أُمِرت أن تصمت
- اخمد ذكرك وقتما أُمِرت أن تخمد ذكرك
- انقطع عن أحداثهم وأحوالهم وقتما تكون فتنة
- اعبد الله لأنَّ عبادة في الهرج كهجرة إليه
- ولما يأتون يقولون: أنت سلبي، أنت بعيد، أنت مُنقطِع، هذا دينكم يأمركم بأن تنقطعوا عن الناس وأن لا يكون لك ثقافة، إنهم يسخرون فاتركهم.

يقول الله عزّ وجلّ:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ أي: قدَّرنا بوقت نزول العذاب بهم ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ أي: أنزل الله السَّماء بالماء بالمُنهمِر، وفجَّر الأرض كلها عيونًا حتى التنانير التي هي محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، تفجرَّت فالتقى الماء على أمر قد قُدر.

فإذن كيف كانت حالهم؟ نزل عليهم من السماء -كما في سورة القمر- ماء منهمر، وتفجرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قُدر.

وذُكِر التنُّور هنا لأنَّ من يبني التنُّور عادةً يكون في حرص أن يضعه بعيدًا عن ينابيع الماء؛ من أجل أن يشتعل بالنار التي هي ضدّ الماء، ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ دليل على أنَّ الأرض تفجرت ينابيعًا .

﴿ قُلۡنَا ﴾ لنوح: ﴿ ٱحۡمِلۡ فِيهَا ﴾ -يعني في السفينة- **﴿ مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ أي: من كلِّ صنف من أصناف المخلوقات، ذكر وأنثى، لتبقى مادة سائر الأجناس، وأما بقية الأصناف الزائدة عن الزوجين، فلأنَّ السفينة لا تطيق حملها ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ ممن كان كافرا، كابنه الذي غرق.**

إذن معنى ذلك أنَّه ترك ما يزيد عن الزوجَين وحمل معه أهله، من بنيه ونسائهم إلَّا من سبق عليه القول ممَّن كفر. وسيتبيَّن لنا الآن حال ابنه الذي كفر.

﴿ وَمَنۡ ءَامَنَ ﴾ ﴿ و ﴾ الحال ﴿ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾

﴿وَقَالَ﴾ **نوح لمن أمره الله أن يحملهم:** - قال لهم - ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ **أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره.**

وهم على يقين بربِّهم، ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ هذا الاسم العظيم الذي إذا ذُكر على شيء بورك، فاركبوا مُسمِّين الله، قائلين بسم الله، مُنتظرين أثر هذا الاسم على أنفسكم وعلى دابتكم -سفينتكم- التي تركبونها، بسم الله تجري وترسو، وفي حفظ الله عزَّ وجلَّ تكون، **فحين تركبون وتجرون وترسون فأنتم مؤمنين أن الله عز وجل هو الذي يحفظكم.**

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ **حيث غفر لنا ورحمنا، ونجَّانا من القوم الظالمين.** فاللهم اغفر لنا وارحمنا ونحن من القوم الظالمين، آمين.

ثم وصف جريانها كأنا نشاهدها فقال: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ﴾ **أي: بنوح، ومن ركب معه** ﴿فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ هذا من عظمة الموج، شُبِّه بالجبال المرتفعة؛ كأنَّ كل موجة من هذه الموجات كالجبل في تراكمها وارتفاعها وعظمتها، في هذا الوقت.

والله حافظها وحافظ أهلها وهي تجري في موج كالجبال، وهم سمُّوا الله لما ركبوها، فكان حِفْظَ الله لهم مع عَظَمَة ما حولهم من أحداث، وفي وسط هذه الأحداث العظيمة وانقلاب الأرض، ماء من السَّماء منهمر، وينابيع تتفجَّر في الأرض، كان موقف ابن نوح الذي كفر ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ **لما ركب، ليركب معه** -في السفينة- ﴿وَكَانَ﴾ **ابنه** ﴿فِي مَعۡزِلٖ﴾ **عنهم، حين ركبوا،** -يعني في معزل مبتعد عنهم-: **مبتعدًا وأراد منه، أن يقرب ليركب،** -في مكان عزل فيه نفسه عن قومه وقرابته، لما قال نوح: اركبوا فيها، هو كان بعيدًا، إما بعيدًا معنويًا أو بعيدًا حسيًا، فناداه هذا النداء قبل أن يستيقن الناس الغرق، قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ

﴿ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ لأن من ركب مع نوح سيكون من المؤمنين، ومن لم يركب يكون مع الكافرين، وليس مهم الغرق المهم ألا تكون مع الكافرين.

ف ﴿ قَالَ ﴾ ابنه، مكذبًا لأبيه: أنَّه لا ينجو إلا من ركب معه السفينة.

يُكذِّب هذا القول، أي أنَّ الابن الآن يُكذِّب نوحًا عليه السَّلام في قوله أنَّ النَّجاة ستكون لمن ركب السفينة، لأنَّه في أول الأمر يقول له مع من قال: اركبوا فيها وستنجون، لكنه كذَّب هذا، ولو كان تحقَّق الغرق كان ركب طلبًا للنجاة، لكن هذا في أول الأمر قبل أن يتحقَّق الناس أنهم يغرقون.

ماذا أجاب؟ قال : ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ **أي: سأرتقي جبلا، أمتنع به من الماء،** أي سأرتقي وأعتصم جبلًا أمتنع به من الماء، فهو يتصوَّر أنَّ هذا الماء كسائر المياه في أزمنة السيول التي يُمكن أن يصعد الناس فيها الجبال، أي يربون في الأعلى فيسلمون، وهذا جهل منه وتحقيق بمبدأ الكفر، فهو بهذا يؤكِّد أنه كان كافرًا بأبيه، أراد نوح عليه السلام أن يُبَيِّن له حقيقة الحال، وأن يصرفه عن ذلك الفكر، الفكر المحال، لا تُفكِّر بهذه الطريقة، **ولا يصحُّ التفكير إلا على الإيمان،** وهذا هو أكبر إشكال يعيشه الناس، أنَّهم لا يفكِّرون تفكير من يؤمن، فتجد الإيمان في معزِل عن التفكير واتخاذ القرارات.

فكان نوح عليه السلام يبيّن له حقيقة الحال ويصرفه عمَّا في تفكيره وذهنه، والحل الذي افترضه هو من أبطل الحلول ﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾ **فلا يعصم أحدًا، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله.** لا عاصم من الجبال أو من غيرها، لا مانع يمنعك من أمر الله، اليوم خاصَّة يوم وقوع الهلاك، لا تغترّ بما كنت فيه، فمن رحمه الله عزَّ وجلَّ نجَّاه، لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله، ومن رحمه الله هو من ركب السفينة.

لكن لم يقبل هذا الوعظ ﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ ﴾ **الابن** ﴿ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾.

فلما أغرقهم الله ونجَّى نوحًا ومن معه ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ **الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك** ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ **فامتثلتا لأمر الله، فابتلعت**

الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ **بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.**

﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ **السفينة** ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ **أي: أرست على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل.** وهو أمرٌ معروف تاريخيًا، قيل هو المعروف بجبل قُرْب الموصل، وقيل كلُّ جبل يُسمَّى الجودي.

﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **أي: أُتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدًا، وسحقًا لا يزال معهم.** وكل من تذكَّرهم كان يذكُرهم بالسوء.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

أي: وقد قلت لي: ف ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ **ولن تُخلف ما وعدتني به.** يقول الشيخ : **لعلَّه عليه الصلاة والسلام، حملته الشفقة، وأنَّ الله وعده بنجاة أهله، ظنَّ أنَّ الوعد لعمومهم، من آمن، ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا، ففوَّض الأمر لحكمة الله البالغة.** قال: وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ .

ف ﴿قَالَ﴾ **الله له:** ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ **الذين وعدتك بإنجائهم.**

من سيكون أهله؟ الذين آمنوا وتابعوا هم أهل الدين، أي إن كان من أهلك باعتبار القرابة ولكنه ليس من الأهل باعتبار الدين، فهو ابنه من جهة القرابة.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ **أي: هذا الدعاء الذي دعوت به، لنجاة كافر، لا يؤمن بالله ولا رسوله.**

عمل غير صالح أي لا يرضاه الله، أن تدعو بنجاة من كفر.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ **أي: ما لا تعلم عاقبته، ومآله، وهل يكون خيرًا، أو غير خير.**

﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ أي: أني أعظك وعظًا تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين. فحينئذ ندم نوح، عليه السلام، ندامة شديدة، على ما صدر منه،

و ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ **وانظر إلى هذا موقف الذُّل مع مكانته وشرفه، ولكن هذا الذُّل هو الذي رفعه،**

﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾ أي أطلب منك أن تحفظني، ألجأ إليك وأعتذر منك، وأعترف بخطئي وأطلب المغفرة، وترحمني برحمتك التي وسعت كل شيء، فتقبّل توبتي ولاتجعلني من الخاسرين.

فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين، ودلَّ هذا على أن نوحًا، عليه السلام، لم يكن عنده عِلم بأنَّ سؤاله لربِّه في نجاة ابنه مُحرَّم، داخل في قوله ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ ظنَّ أنَّ طلبه لنجاة ابنه من النوع الثاني، وهي أنَّ الله وعده وأمره احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك.

بل تعارض عنده الأمران، وظنَّ دخوله في قوله: ﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾

وبعد ذلك تبيّن له أنَّه داخل في المنهي عن الدعاء لهم، والمراجعة فيهم. فلما عرف أن هذا من المنهي عنه، استغفر وعاد واستعاذ.

ولننظر إلى أفعال التي فعلها نوح عليه السلام لما وقع في هذا الخطأ:

- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ ﴾ عبادة الاستعاذة.
- ﴿ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾فالعبد إن أخطأ، يستعيذ بالله، ويطلب من الله أن يحميه من الوقوع في الذنب.

- ﴿ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ ثم يُظهر العبد فقره لمغفرة الله ولرحمته ولأن يحفظه أن يكون من الخاسرين.

إذن إذا وقع العبد في ذنب فليستعِذ بالله من ذنبه، يستعِذ بالله من إجرامه، ويطلب من الله أن يعيذه ويغفر له ويرحمه ويبعده عن القوم الذين خسروا.

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ من الآدميين وغيرهم من الأزواج التي حملها معه، فبارك الله في الجميع، حتى ملؤوا أقطار الأرض ونواحيها.

إذن معنى ذلك، ﴿ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ ﴾ بعدما غرقت الأرض فخرجوا من السفينة بسلام سلَّمهم الله، فزال عنهم الخوف، فهم في سلام، أي: أمن وسعة رزق، ﴿ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾البركات هي الخيرات النامية والنِّعَم الثابتة الباقية، ما يقوم به المعاش من أنواع الأرزاق والبركة، فالأمن والبركة إنَّما يكونان من أثر امتثال أمر الله.

إنَّ الناس جميعًا يَصْبُون إلى هذين الأمرين:

١. يصبون إلى السلام كما يقولون.
٢. وإلى حلول البركات في أنفسهم وفي أعمالهم وفي ذراريهم.

فكيف هبط نوح عليه السلام بسلام وبركات عليه وعلى الأمم؟ لما اتَّبَع الأمر الذي أمره الله، وهو رسول الله، ولما نوح عليه السلام خالف أمر الله وسأل الله عن ابنه وَعَظَه الله، ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾.

إذن معنى هذا ونحن نسير في طريقنا إلى ربنا ما لنا إلا: الطاعة، الاستجابة، لا تخُن، لا تخالف أمر الله وأمر الرسول على ما ترى من حيثيات أو ترى من أسباب.

ها هو ابن نوح رأى الجبل عاصمًا له من الماء، والحق أنَّه لا عاصم إلا الله، هذا معناه أنَّ النَّجاة لا تكون بالرأي، ولا السلام ولا البركات تحل على أي أرض ولا بأي بلد ولا بأي شخص ولا بأي أسرة، يعني من الفرد إلى الأمم، لا السلام ولا البركات تقعان على الأشخاص ولا المجتمعات إلا بمتابعة أمر الله ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم.

الحياة لم تُترك لك تقترح فيها كيف تسير وتنهج، إنما أُمرت أن تسير على طريق شرعه الله لك وبيَّنه لك الرسول صلى الله عليه وسلم، فاجعل أوامر الله وأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم قائدًا لك في مسيرتك؛ تحل عليك السلام والبركات.

أما السَّلام الذي يكلموك عنه، وشوَّشُوا الناس وأزعجوهم وأبطلوا عليهم دينهم واختاروا الأزمنة الفاضلة ليبقى الناس في تشويش من شأنهم؛ فإنهم لا يأتون بيوم خير قط، **إنَّ السلام والبركات لا تأتي إلا من أمر الله**، الخائف لا يأمن إلا أن يؤمِّنه الله، وصاحب الحاجة لا يصل إلى حاجته إلا أن يوصله الله، فلمَّا امتثل نوح عليه السلام أمر الله، نزل عليه السلام والبركات.

﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: هذا الإنجاء، ليس بمانع لنا من أن من كفر بعد ذلك، أحللنا به العقاب، وإن مُتِّعوا قليلًا، فسيؤخذون بعد ذلك. المعنى: أن هذه الأمم ستتناسل، فمن كان منها مؤمنًا، متَّعه الله، ومن كفر من هذه الذراري مسَّهم في الآخرة أو في الدنيا عذاب أليم.

قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما قصّ عليه هذه القصة المبسوطة، التي لا يعلمها إلا من منَّ عليه برسالته. يعني هذا دليل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، هذه القصة بتفاصيلها وأحداثها لا يعرفها ولا يعلمها إلا من مُنَّ عليه بالنبوة، فهي من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ﴾ فيقولوا: إنه كان يعلمها. المعنى أنَّ هذه القصة كانت مجهولة عند العرب، وهو لم يتعلَّمها منهم ولا من غيرهم، لأنَّه لم يختلط بغيرهم، ما كانوا يعرفوها قبل الوحي ، فهي دليل صدقه.

فاحمد الله، واشكره ومن آثار الحمد والشكر على النعمة

واصبر على ما أنت عليه من الدين القويم والصراط المستقيم والدعوة إلى الله -لابد أن تصبر- **﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يتقون الشرك وسائر المعاصي، فستكون لك العاقبة على قومك، كما كانت لنوح على قومه.**

والحمد لله كانت العاقبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وتكون العاقبة لكل من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم. **وانظر أنَّها العاقبة وليس الآن، فهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير لكل من سار على الطريق، لا يظفر إلا المتقين في عاقبة الأمر، ولا اعتبار بمبادئ الأمور إنما الاعتبار بعواقب الأمور.**

فإذا علمنا هذا، علمنا أن في بداية الأمور وفي وقت الضوضاء، الفتنة، يكون الناس غير مستبينين الحال، ولا يعرفون ماذا سيكون، إنَّما يغترون بالأسباب ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ وأهل الإيمان يعرفون أن التقوى هي التي توصلهم إلى طريق الله، فيتقون أن يخالفوا أمر الله، فيصلون في عاقبة الأمر إلى الحق، وإلى الرفعة والمنزلة العظيمة، وأهم المنازل المنزلة عند الله.

فنسأل الله بمنِّه وكرمه أن يجعل تعظيم كلام الرسول، ومنهجه، وطريقه الذي به يقينًا نصل إلى ربنا، نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل تعظيم كلامه في قلوب أبنائنا الراشدين منهم وغير الراشدين، الكبار منهم والشباب والصغار؛ لأنَّه إذا عُظِّم كلام الله وكلام رسوله؛ صحَّ من الناس السَّير، وابتعدوا عن هذا الهياج، ولم يكونوا أيدٍ للمنافقين في كل مكان.

اللهم سلِّم بلاد المسلمين واحفظ دماءهم وأعراضهم، واجعلنا ممن يمتثل الأمر، متيقِّنين أن العاقبة للمتقين.